Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N°:2 – 2023, P.P:290-301

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13،العدد 2- 2023، ص.ص:290-301

مستجدات البيولوجيا:

من المجال البيو–أخلاقي إلى التوجه البيو–سياسي في فلسفة فرانسوا داغوني

Biological Update: From the Bio–ethical Field to the Bio– political Orientation of François Dagognet Philosophy.

مجكدود ربيعة

جامعة محمد بوضياف–المسيلة–(الجزائر) rabiaa.medjekdoud@univ–msila.dz

تاريخ الاستلام : 2023/05/14 ؛ تاريخ القبول : 2023/05/06 ؛ تاريخ النشر : 2023/05/20

الملخص

شهد عصرنا ثورة علمية وتكنولوجية هائلة في مجال الحياة، لكنها أخذت شكل الظاهرة الخطيرة خاصة في الأبحاث البيولوجية. لذا طرحت العديد من المشكلات الأخلاقية التي جعلت الإنسان يتلهف للبحث عن ضوابط أخلاقية لمحاصرة التهديد الذي قد يمس إنسانيته وقدسية الحياة البشرية، ودخول مفاهيم جديدة كتأجير الأرحام، الاستنساخ...لذا تعالت الأصوات بضرورة البحث عن ضوابط أخلاقية، وتوجيه سياسي للحياة قصد كبح جموح التطور الرهيب للبيولوجيا.

الكلمات المفتاحية: البيولوجيا، البيوتيقا، السياسة الحيوية، الجسد .

Abstract

Our age has witnessed a tremendous scientific and technological revolution in the field of life, but in has taken on the from of a dangerous phenomenon, especially in biological research in the tremendous scientific to contain the threat that may affect his humanity. This explains the emergence of what called the bioethics against the latest advances in biology, and the introduction of new concepts such as the renting of uteruses, cloning… Thus, the voices have grown that it is necessary to search for ethical controls and a political directive for life in order to curb the unbridled development of biology.

Keywords :Biology, Biotics, Biopolitics, Body,

1.مقدمة:

تصدرت البيولوجيا طليعة العلوم الطبيعية ولفتت إليها انتباها واسعا خاصة منذ النصف الثاني من القرن العشرين بعد النتائج الايجابية التي حققتها، فبدأت تباشير ثورة جديدة وزادت شهرتها من خلال مستجداتها وذلك في استحداث مفاهيم حيوية جديدة كالإخصاب الصناعي، تأجير الأرحام ، أطفال الأنابيب والهندسة الوراثية...التي أصبحت محط اهتمام و نقاش طغت عليها عدة قضايا جدلية على الساحة الفكرية، تتقاذفها الآراء بين رجال الدين والسياسيين والمشرعين الأخلاقيين، أمام هذه المستجدات المتسارعة وجد الإنسان نفسه أمام مجموعة من التساؤلات، فأين نحن الآن؟ وأين يمكن أن نكون بعد سنوات؟ وهل القيود والضوابط الأخلاقية كافية للسيطرة على تلاعبات المجرات على جسد الإنسان و كرامته و إنسانيته أم أننا أيضا بحاجة إلى توجيه سياسي للحياة البيولوجية؟ وهل المشاركة في هذا التقييم البيوأخلاقي يجب أن ينحصر فقط على الأخلاقيين والقانونيين والبيولوجيين، أم بإمكان الفيلسوف أن يلعب دوره في إيجاد ضوابط أخلاقية إزاء هذه المستجدات ؟. من خلال بحثي هذا أردت أن أتعرف على موقف الفيلسوف فرانسوا داغوني من مستجدات البيولوجيا، محاولا إياه ايجاد صيغ تعامل مع معطياتها ، وذلك للانتقال من مجال البيوأخلاقي إلى التوجيه البيوسياسي. وفي خضام كل هذا، سأبين أيضا موقفه من أكبر تقنية أثارت ضجة ورعب كبيرين في الأوساط العلمية والسياسية والدينية والأخلاقية وهي الاستنساخ الحيوي الذي يعد أبرز مستجدات البيولوجيا.

2-أهداف البحث:

هدفنا من هذه المداخلة اعادة الاعتبار للتفكير الفلسفي في القضايا المعاصرة، وتوجيه البحوث الفلسفية إلى العناية بالواقع أكثر، والابتعاد عن الميتافيزيقا، لأن وظيفة الفلسفة اليوم أن تعايش الواقع، وذلك بعلاقتها بالعلوم بشكل عام وعلم البيولوجيا على وجه الخصوص.

2-1-المنهج:

تم استخدام المنهج التحليلي لملائمة لموضوع الدراسة الحالية حتى نجيب على تساؤلاتها.

3-تقنية الاستنساخ الحيوي:

إن التطورات التي عرفتها البيولوجيا من خلال فروعها جعلتها تتصدر طليعة العلوم وأحدثت قفزات عملاقة، إذ تهتم بدراسة الكائنات الحية من حيث تصنيفها وسلوكها و كيفية ظهورها إلى الوجود. كما تسعى جاهدة إلى هندسة الجنس البشري لابتداعه برامج تتحكم في التكاثر وصفاته، ولعل تقنية الاستنساخ البشري أكثرها ضجة رعب كبيرين في الأوساط العلمية و الدينية والأخلاقية، فلا نبخسها أن ذكرنا أنها قضية العصر. لقد عرفه عبد المحسن صالح في كتابه" التنبؤ العلمي مستقبل الإنسان" : **<<** أما الاستنساخ الحيوي فهو عودة بالخلق إلى الوراء في الزمن**>>**(البقصمي،1993،صفحة74) وعرف أيضا**<<** تكوين مخلوقين أو أكثر كل منهما نسخة وراثيه من الأخر دون التزاوج، أي أنه توليد كائن حي أو خلية أو جزيء بحيث تستطيع أن تتكاثر من غير طريق التكاثر التلقيحي**>>**(الدمشقي،2002،صفحة193)

كما أسفرت هذه التقنية تجاذبات بين المؤيدين و المعارضين لها. فعلماء البيولوجيا منبهرون بأبحاثهم هذه ولا يمكنهم التخلي عنها، على خلاف المشرعين و الأخلاقيين في كل مرة يقفون ضد هذه التقنية التي تريد أن تجعل منها هندسة ميكانيكية تتحكم فيها يد الإنسان مثل تحكمها على المادة الجامدة.

1.3 الاستنساخ الحيوي ومشكلاته الأخلاقية في فلسفة فرانسوا داغوني:

إن التدخل التقني لعلماء البيولوجيا في الكائن الحي عند فرانسوا داغوني يجب أن لا يتعدى ثلاثة حدود.أولها، علينا أن نحافظ على تنوع الإنسان، ثانيا أخذ بالاعتبار تركيبته وتعقيده، وأخيرا إنقاذ إنسانيته(Danien,1998,p119). ولكن كثيرا ما غيرت البيولوجيا بمستجداتها في نظر الفيلسوف داغوني من الطبيعة البشرية، فعدلت فيها بواسطة الهندسة الوراثية و تدخلاتها. صحيح أنه ساهم بأدق حيثياته في استبعاد أو إزالة حاملي الإمراض الجينية سواء من حيث محاولة تعديل الجنين اللاسوي و استبداله بجنين سوي، أو محاولة القضاء على المرض نهائيا، أو استئصال العضو المتسبب في ذلك الخلل الذي يجعل من حياة الإنسان غير سوية وغير سعيدة. وبهذا أصبح

علم الهندسة الوراثية يشغل مكانة مهمة داخل المؤسسات البيولوجية والطبية لما أفرزه من ايجابيات تدعم عملية الأخلاق العلمية وقيام العلم بخدمة البشرية، ولكن من جانب أخر فهو يدق ناقوس الخطر لتجلي أصوات تدعو إلى ضبطه إزاء ما أفرزته من مشكلات أخلاقية تخدش كرامة الإنسان وتمحي قدسيته وتنبئ بأسئلة عميقة عن الحياة. وبالتالي، لعل أبرز الابتكارات البيولوجية التي دخلت حياة الإنسان وقلبت موازينه وأكثرها فظاعة الاستنساخ البشري الذي سبب مشاكل أخلت بكينونة الكائن وكذا بجسده البشري وأثارت جملة من المشكلات والقضايا الأخلاقية. وانطلاقا من هذا يجول في خاطر كل إنسان متخوف من هذه التقنية التي أثارت العديد من التساؤلات أهمها: أبهذا يصبح الإنسان حتى في حياته الخاصة أسير المختبرات و الأبحاث العلمية؟ هل ينبغي أن يجرد من كل عاطفة و حنان؟ وأن يولد من دون أب ويصبح أسير العلم في كل شيء؟. فهذه التساؤلات يضارعها بعدا عن الأخلاقيات، وتنبئ أكثر فأكثر بأسئلة عميقة عن الحياة، و بالتالي تعطي فرصة لتجديد القيم التي تعيش بها الحياة.

لذا يؤكد فرانسوا داغوني أنه من الأجدر أن نترك للحياة ما هو مهم من حريتها، بل أن التحكم فيها بالاستمرار يؤدي إلى تفقيرها، والتقليل من قيمة الإنسان في الوقت نفسه، لذا يرى أن الاستنساخ البشري غير مقبول أخلاقيا حيث يعارضه بشدة، لأنه يهدف إلى تفقير الكائن الحي المحكوم عليه بالإعادة فقط، ومن ثمة فهذا الأمر يتعلق بنوع من التحكم في الجنس البشري، وعليه فهو يسجل وضعية جديدة للعلماء و الباحثين في مواجهة الحياة لأنهم يعدلون يغيرون، ليس هذا فقط بل يعيدون الخلق وبالتالي أصبح على حد قول الفيلسوف **<<** المخلوق أصبح خالق**>>** (Dagognet,2002,p185)

هذه التقنية و كل ما يؤدي إليها يعارضها الفيلسوف بشدة وذلك لعدة اعتبارات أخلاقية:

أ. إلغاء مفهوم الأسرة:

إن الحياة في نظر فرانسوا داغوني أثبتت نجاحها، لذا يتساءل: **<<** لماذا نريد استبدالها**>>**(Dagognet,1998,p119) من خلال الاستنساخ البشري، إذ يمكنه أن يقضي على مفهوم "الوالدية"، فنحن في ظل كهذا لا نعود نحتاج إلى وجود الأب والأم بقدر ما نحتاج إلى

مؤسسة كبيرة تقوم برعاية النسخ التي يتم انماؤها صناعيا في أجهزة خاصة. وأن هذه النسخ لا تنشأ في وسط عائلي بالمعنى المفهوم حاليا، مما يعني أنها ستقضي على مفهوم العائلة.

إن الإنسان في عصر كهذا يصبح رقما في مجموعة، و أقرب إلى الآلة منه إلى الإنسان، وبالتالي إن الأب والأم في مجتمع كهذا هو الدولة التي تتحكم فيه << فالناس لا يعرفون ماذا ينتظرهم ولا يعرفون ما ينتظر أبناءهم ، ذلك لأن تكنولوجيا هذا النوع كما يعتقد الكثيرون قد تصل إلى هندسة الإنسان نفسه بمعنى أن تسيطر عليه وعلى سلوكه، وتحوّله إلى أداة يمكن التحكم فيها واستخدامها >> (البقصمي، 1993، الصفحات 212–213) كما أنه يفقد الإنسان خاصية أساسية موجودة فيه هي العاطفة، وبما أننا نحصل على أطفال عن طريق الأجهزة، ولا شك أنهم سيفقدون الأحاسيس والعواطف التي يمكن اكتسابها في مراحل الحمل الطبيعي عن طريق الأم.

ب. القضاء على التنوع الإنساني والمساس بجسده:

إن التدخل التقني للبيولوجيا في الكائن الحي خاصة على الإنسان يجب أن يأخذ بعين الاعتبار <<المحافظة على تنوعه>>(Dagognet,1988,p119) ، ويعتبر هذا الأساس من بين المنطلقات التي من خلالها رفض داغوني الاستنساخ البشري و ليس فقط لاعتبارات أخلاقية، ولكن لعدم التنبؤ بنتائجها خاصة البحث إلى تحسين النوع البشري واختيار الصفوة المختارة، فيها تتحكم الحكومات في المستقبل وتفرض معيارا معينا يتم على أساسه اختيار أناس ورفض الآخرين. هذا خطأ إن لم يكن رعب لأننا لا نعلم أي إنسان ننتظر أوكل ما يؤدي إليها يعارضها بشدة لأن هذه العملية تهدف إلى الانتخاب وهو أمر مرفوض اخلاقيا. << ليست سهلة ذلك لأننا استبعدنا الصعوبات المرتبطة بتحديد من هو الأصلح والخير، ومن هو السيئ، أو من هو الشخص المؤهل، أو ما هي الصفات الوراثية المرغوبة التي يجب أن تفرض على الجميع, وإذا استبعدنا فكرة من هو الشخص المؤهل لأن يختار مثل هذه المعايير، وحتى لو اعتبرنا مثل هذه التكنولوجيا للبشرية لأنها ذات نتائج ايجابية لمستقبل الإنسان...سيطرة هذه التكنولوجيا سيطرة كاملة على حرية الإنسان وعدم احترامها لإنسانيته>>(Dagognet,1990,p58)

إلى جانب ذلك، أن لا تؤدي عملية الاستنساخ إلى المس بكرامة وقدسية الجسد البشري، باعتباره حسب داغوني –الجسد الإنساني– فلسفة قائمة بذاتها، وليس كما تعتبره البيولوجيا سوى

الباطن من خلال التجريب<< علينا أن لا نطيل الوقوف عند البيولوجيين لأنها تفضل خرافة العمق وظلمات الأحشاء>>(Dagognet,1988,p135) . فماهية الإنسان هي الحياة وهي ليست فقط مكتوبة في العمق بل على الجسد، فالجسد جسم وروح وهو جوهر فلسفة داغوني، وحتى إن كان الجسد ميتا. لذا يجب عدم المساس بكرامة الإنسان المكتوبة في جسده لأنه يعبر عن الفرد، والأخر، هو الماضي، المستقبل وهو رمز أيضا البيولوجي والطبيعي، وحتى الثقافي .(Dagognet,1990,p58)

في خضام المشكلات الأخلاقية التي تجلت من مستجدات البيولوجيا بتعدد فروعها لزاما علينا إيجاد منظومة أخلاقية ردعية إزاء كل هذا، قصد سطر حد للتطبيقات البيولوجية و السعي إلى عدم تجاوزها لأنه يهدد كرامة الإنسان و العبث في النوع البشري.

4. من الأخلاق الحيوية Bioéthique إلى السياسة الحيوية Biopolitique:

إن الكثير من التقنيات العلمية المختلفة، التي توظفها البيولوجيا يثير مشكلات وتساؤلات أخلاقية ودينية واجتماعية وقانونية وحتى سياسية وهذا ليس فقط فيما يخص الاستنساخ الحيوي وإنما تعدت إلى فروع أخرى للبيولوجيا من تأجير الأرحام، التلقيح الاصطناعي واليوجينيا... نتيجة لما تفرزه من نتائج لم يستطيع البعض الحكم عليها لتعقيدها وهو ما يصفه برتراندراسل: << إن النمو الهائل في القدرة التكنولوجية جعل الحياة عملية أعقد بكثير مما اعتدنا أن نراه عليه من قبل، وليس من مهمتنا هنا أن نقرر إن كان هذا خيرا أو شر >>(رسل،1983، صفحة192) صحيح أن كثيرا مما كان يعجز الإنسان عن حله من مشكلات تخص الإنسان أصبح اليوم ممكن الحل، لكن حيرة الإنسان تزداد كلما زاد العلم تقدما، ولعل هذا راجع إلى التساؤلات التي تشغل باله، << وكذا الحلول المقترحة في هذا الشأن غير كل هذا من نظرته لنفسه وللحياة و للآخرين>>(الحفار،1984، صفحة 70).

إن المعرفة البيولوجية ومستجداتها تؤدي بالاستمرار إلى تغيير إدراك الإنسان لذاته ولقيمه، هذا ما يقوله D.G lygre في كتابه "التحكم في الحياة" <<: يوجد في الحياة من الأسرار والعجائب ما يثير رهبتنا ويشعرنا بالتواضع. ويبدو من المستحيل أن نفهم كل هذه الأسرار، ومع ذلك كلما توصلنا

إلى معرفة آلية من آليات الحياة، اختفت بعض أسرارها، فقد كشفنا أن المادة الحية تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة الجامدة، وفي اللحظة التي سيطرنا فيها على عالمنا الفيزيائي وتم إخضاعه للحتمية تعلمنا كيف نتحكم في عالمنا البيولوجي، فمثلا صنعنا أطفال الأنابيب، وغيرنا في تركيبنا الوراثي، واخترعنا أعضاء صناعية لأجسادنا، وحولنا عقولنا، وأطلنا أعمارنا، وربما نكتشف أننا نستطيع تخليق الحياة نفسها، لن تغير الثورة البيولوجية ذواتنا الفيزيولوجية فحسب بل تستطيع تغيير طريقة تفكيرنا في أنفسنا وفي الآخرين>>(البقصي،1993، صفحة61) هذا القول هو دلالة واضحة عن المخاوف هو الماضي، المستقبل وهو رمز أيضا البيولوجي والطبيعي، وحتى الثقافي المتولدة مما قد تفرزه مستجدات البيولوجية من أخطار تهدد الإنسان وتمس كرامته. ولا شك أن الدافع إلى هذا هو شعور الإنسان من جهة، بكفاءاته و قدراته المتمثلة في استحداث آليات بيولوجية جديدة للإنسان، والتي من خلالها تمكن التحكم إلى حد بعيد في الحياة بتوظيف تقنيات بيولوجية. ومن جهة أخرى، عدم معرفة بما قد ينجم عن هذا التقدم الهائل للبيولوجيا بانتقالها من دراسة الوظائف إلى معرفة التحكم في الخلايا، يكون بذلك قد دخلت خبايا الجنس والتكاثر، إنها لا تكتفي بملاحظتها، بل القدرة على إحداثه وقت الحاجة. وهذا في نظر الفيلسوف كان الاضطراب والضرورة المستعجلة إلى إعادة مزاوجة الأخلاق والبيولوجيا(Dagognet,1988,p170)، وعلينا الاحتفاظ بمبدأين أساسين، هما احترام الإنسان و احترام حياته. بل الاثنين معا، وهو حماية الحياة الإنسانية. لأن البيولوجيا تتقدم بخطى عملاقة وهي تحطم في طريقها أخر ما بنته الأخلاق والقوانين. علينا في هذه الحالة تحذيرها من تدخلاتها ويبدو أن هذه إشارة واضحة من الفيلسوف إلى حاجة البيولوجيا إلى ضرورة و جود ضابط أخلاقي، أي حماية الإنسان وحماية مصلحته وتوازنه البيولوجي الجوهري(Dagognet,1988,p158)، وبالتالي وضع مصيره و كرامته إزاء مستجدات البيولوجيا وتطبيقاتها في المحك فهو من دون شك مهمة من المهام التي تضطلع بها الفلسفة اليوم، في إطار ما يسمى بالبيوتيقا la bioéthique.

ينظر فرانسوا داغوني إلى هذه الهيئات التي تهتم بالبيوتيقا على أنها لا تهدف إلى وضع حلول عامة، طالما لا تستطيع أن تنتهي إلى اتفاق، فكل هذا لا يدل على النجاح. بالنسبة للفيلسوف ليس هناك إمكانية الحديث عن أخلاق إجرائية. إن عدم القدرة على التقرير والبت يرجع أساسا إلى كيفية

تكوين هذه الهيئات، والتي بالرغم من أنها تجمع كل الأصناف بحيث تمثل المتدينين والأخلاقيين إلا أنها لم تستطع التوصل إلى اتفاق. هذا ما نجده على مستوى CCNE "الهيئة الاستشارية الوطنية للبيوتيقا" والتي تجمع ممثلين عن فلاسفة و روحيين. ومن جهة أخرى المعنى الذي اتخذته البيوتيقا في نظر هذه الهيئات، ولذا نجد الفيلسوف يميز بين البيوتيقا الرديئة أهدافها إيديولوجية وبيوتيقا ذات الأساس أو الجوهر العلمي. والأكثر من هذا، إجماع هذه الهيئات على أمر فهو لأجل منع أو تحريم، إن لديها ميل خاص لوضع حدود مطلقة. ولحسن الحظ هذه الحدود في القديم كثيرا ما كان يتم تحطيمها، لأنها حدود خيالية على حد تعبير داغوني(Danien,1998,p144).

بالنسبة للفيلسوف، فالعقد الاجتماعي لا يمكن أن يكون بين الجماعة أو الشيوع العائلات، فيما يخص القضايا الحساسة وهي قضايا البيوتيقا، بل على الدولة أن تتدخل في توجيه هذه المؤسسة الجديدة، ولذا فهو ينتقد الهيئات التي تمثلها، يرى أنها عاجزة عن المراقبة والحد من تجاوزات البيولوجيا ، وتعتبر هذه الفكرة دعوة الفيلسوف داغوني إلى تدخل الدولة التي تحرص على تنفيذ كل الأحكام والقرارات المتعلقة بالبيوتيقا أو ما يسمى بإقامة "سياسة بيولوجية" أو " السياسة الحيوية" Bio–politique للنوع البشري، وهي فكرة أشار إليها ميشال فوكو في كتابه "تاريخ الجنس" أين يضع توجيه الحياة وتنظيمها، في صميم السياسة العصرية الغربية إذ يقول: << وللمرة الأولى في التاريخ بدون شك، ينعكس البيولوجي في السياسي >>(فوكو،2004، صفحة119) هذه الهيمنة البيوسياسية أي عملية توجيه السياسي للحياة، تهتم بالقرارات الأخلاقية التي ينبغي اتخاذها أمام الإمكانيات الجديدة للتقنية البيولوجية، وتطمح إلى أن تفيد اتيقا معينة موجهة إلى البيوسBios. من جانب أخر، فالسياسة الحيوية هي الفعل الذي تصبح فيه مراقبة شروط الحياة الإنسانية مهمة سياسية صريحة (الصحة، عرض مخاطر الطبيعة و التقنية...) إن اهتمام السلطة بالإنسان بوصفه كائنا حيا، أي حدوث نوع من << الدولنة للبيولوجي >>(فوكو،2003، صفحة،236) ذلك عقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية والمتعلقة بالظواهر الخاصة بمجموعة من الأحياء الذين يؤلفون جملة السكان، الصحة، نسبة المواليد، طول العمر، الأجناس، التكاثر... ونعلم أي موقع احتلته هذه المسائل بشكل متناه منذ القرن التاسع عشر، وما مثلته باعتبارها مواضيع رهان سياسي واقتصادي إلى اليوم.

5. نحو منظومة قيمية أخلاقية وفلسفية لمستجدات البيولوجيا :

يؤكد فرانسوا داغوني إلى ضرورة توجيه البحوث الفلسفية إلى العناية بالواقع أكثر، والابتعاد عن الميتافيزيقا، لأن وظيفة الفلسفة اليوم أن تعايش الواقع، وذلك بعلاقتها بالعلوم بشكل عام وعلم البيولوجيا على وجه الخصوص وهنالك تجد الفلسفة قيمتها. وكون العلم لا يلتفت كثيرا إلى ماضيه فهو لا يفكر في ذاته، لذا اضطلعت الفلسفة بهذه المهمة وهي التفكير في ذات العلم ومستجداته، وذلك في منهجه، في منطقه وفي خصائصه، وشروطه، وطبائع تقدمه. إن الفلسفة بهذا هي كذلك مسؤولية عن تاريخ العلم ووضعيته، ومحاولة فهم مستجداته خاصة فيما يخص مستجدات البيولوجيا لفهمها فهما عميقا. وما دامت كذلك << فإن فلسفة العلم في هذه الحالة هي المعبر الرسمي والشرعي من دون منازع>>(الخولي،2009، الصفحات10-11).

ويبدو أن موقفه أتى ليؤكد من جديد قيمة الإنسان، وبالتالي التحكم على تقنيات البيولوجيا من خلال فروعها، التي تمس بالكرامة الإنسانية وعدم احترامها للأبعاد الأخلاقية للإنسان. وهذا ما يبرر من دون شك الثورة عليها من خلال التساؤلات في الوقت الذي تتخذ فيه هذه المواقف هذا المنحنى. ومن هنا أراد الإخضاع والسيطرة..."حقا" إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها... لا تثق بقوة العلم في خلق قيم جديدة تدمر نفسها بنفسها>>(Dagognet,1988,p164)

فرانسوا داغوني أن يشارك في هذا النقاش الفلسفي حول المشكلات التي تثيرها مستجدات البيولوجيا ، ويعتقد بان الحل لهذا المشكل لا يخص الأخلاقيين ولا المشرعين والحقوقيين ولا حتى البيولوجيا نفسها، حيث يقول<< إننا نعتقد بالفعل، إن في استطاعة الفيلسوف بل ينبغي عليه أن يأخذ هذا الدور حتى يمزق هذه الذرائع، ويعيد النظر في نتائج هذه التطبيقات>> (Dagognet,1988,p159)

كما أنه من السذاجة القول بإمكانية القضاء على المخاطر التي تتمخض من مستجدات البيولوجيا، فالذي يساهم في البحث العلمي خاصة البيولوجي، لا يمكنه تجنب بشكل مطلق النتائج ذات التأثير المتأخر وغير المنتظر أو التي لا نتمناها وبالتالي يعتقد بأننا نعلم أنه عاجلا أم أجلا

نتعدى الحدود. وعليه يدعو إلى إقامة حاجز يمنع هذه المشاريع الكبيرة، كما يدعو إلى**<<**إقامة فلسفة البيولوجيا في صميم البيولوجيا نفسها**>>** (Dagognet,1988,p159) .

هذه الدعوة تثبت من دون شك تأكيد الفيلسوف على وضع إطار أخلاقي منظم لبحوث البيولوجيا والمتمثل في فلسفة البيولوجيا و يكون بذلك قد وضع مفهوما جديدا للبيوتيقا. إن الفلسفة اليوم، غير واضحة في نظر الفيلسوف، وتعاني أكثر خاصة في مجال الطب و البيولوجيا. فالفيلسوف في نظره لا يحاول فقط حل هذا المشكل، بل يستطيع المشاركة في تشكيل الوعي حول ما توصل إليه العلم من نتائج. فالأمر يتعلق بوضع حدود التشكيل في بعض المحاولات التي تهدف إلى الانحراف والتعدي على حياة الإنسان والمساس بكرامته وإنسانيته. ففي الحقيقة كما يرى داغوني أن الآثار الايجابية التي نجنيها بسرعة عاجلا تتحول إلى أخطار أجلا، لذا فمهمة الفيلسوف يتوقف المستقبل عليه. يقول داغوني: **<<** يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية ، فالمشكلة الأخلاقية توجد دائما في قلب البيولوجيا المعاصر. **>>**(Dagognet,1988,p159)

من هنا يتطلب بالفعل فلسفة جديدة في ظل مستجدات البيولوجيا، تشمل على مقاييس جديدة لاتخاذ القرار، الأمر يتطلب من الفلسفة أن تتبنى مناهج وتمرسات حتى تتحول إلى أدوات عقلية منطقية منها يستطيع الإنسان المعاصر أن يطور إدراكه الذاتي في إطار المجتمع المعاصر الذي يجب أن تسود فيه الأخلاق أمام مستجدات التي تمثلها الثورة البيولوجية. وأكثر من ذلك، يجب تجديد القيم التي تعاش بها الحياة في خضام هذا التطور الهائل للبيولوجيا، قال عالم الحياة الفرنسي روني دوبوا: **<<**العلم يتهم اليوم بتهديم القيم الأخلاقية والدينية والفلسفية دون أن يجد بدائل لها توجه السلوك وتقدم تصورا معقولا ذا قيمة بالنسبة للكون... ولن تستطيع الإنسانية المتقدمة في نطاق البيولوجيا تغيير أساليبنا ما لم نتبن أخلاقا وقيما اجتماعية جديدة... ومهما كان شكل هذه القيم يجب أم تكون مبنية على تناسق وانسجام بين الإنسان والطبيعة بدل الميل المتهور المندفع نحو الإخضاع و السيطرة..."حقا" إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها... لا تثق بقوة العلم في خلق قيم جديدة تدمر نفسها بنفسها **>>** (البقصي،1993، صفحة203).

فهنا تتجلى علاقة الفلسفة بالأخلاق في خضام هذا التقدم، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالفلسفة، بل كانت في مرحلة معينة تعني أحداهما الأخرى، حتى أن الفيلسوف هو الحكيم ولحكمة قيمة

أخلاقية وهي الخير. لكن الأخلاق التي يجب أن يشرع بها الفيلسوف يجب أن لا تستند إلى دعامة صورية ، بل يجب << أن تغدو إرشادا أو اختيارا معززا بالواقع وتتعلق أكثر بالعلوم>>(غريس،1981، صفحة120). هكذا بدأ التساؤل فيما كان العلم مؤسسة تعمل لصالح الفرد والمجتمع أم يحمل تأثيرا سلبيا على حياة ومستقبل الإنسان ومن هذه التساؤلات، نشأ نوعان من الأخلاق: أخلاق الثقة وأخلاق الخوف. أما أخلاق الثقة فهي ناتجة عن تطور العلم الذي يقدم للإنسان في كل مرة مختلف الوسائل التي تخفف عنه، والأكثر من ذلك الارتقاء به إلى المستوى الحضاري. أما أخلاق الخوف، فهي ناتجة عن الآثار السلبية التي يمكن أن يحدثها التطور البيولوجي. إن العالم منشغل بالتقنية وبتطبيقاتها، وهذا ما يجعل منه قليل التساؤل حول ما يمكن أن ننجم في المستقبل عن القرارات التي يتخذها، انه متوقع في مجال القضايا التي تحتاج إلى السرعة في الانجاز، وليس في مجال نظرية القيم نفسها، حتى تكون له لغة أكثر فلسفية.

في هذا الصدد يعتقد الفيلسوف داغوني أن للفلسفة اليوم أهمية خاصة أكثر من أي وقت مضى، لأنها تهتم بالمستقبل، تهتم بما تعده العلوم. وهذا يصدق أكثر على البيولوجيا أين نجد القلق أكثر، من أي ميدان أخر. إن العالم–حسبه– لا يستطيع تقرير ما ينبغي فعله، أو ما لا ينبغي، فهو لا يحتار في مجال القيم والأخلاق. إنها مهمة الفيلسوف الأخلاقية المتمثلة في صنع نوع من التفكير حول البيولوجيا أو بسط نوع من النفوذ خاص للبيولوجيا التي تخبرنا بما هو مسموح به وبما هو غير مسموح لذا فان مبدأ الاحتياط له قيمة في الفلسفة وفي الحياة.

6.خاتمة:

يمكن أن نخلص أن داغوني من خلال فلسفته إعادة الاعتبار للنقاش الفلسفي وللفلسفة، والدعوة إلى إيجاد أرضية وآليات لتفعيل بين الأخلاق ومستجدات البيولوجيا هو في أمس الحاجة ذلك لتحقيق قدسية حياة الإنسان. فهي لم تعد من الدعوة الشاذة أو الغير منطقية بل إن الظروف الحالية تدق ناقوس الخطر إزاء ما يعيشه الإنسان من التطور المذهل والخطير للعلم بصفة عامة، والبيولوجيا بصفة خاصة، أصبحت تستدعي أكثر من أي وقت مضى إلى إدماج البعد الأخلاقي

لقيام منظومة قيمية أخلاقية وصيغ تتعامل مع معطياتها في جميع قضاياها ، ولزام على المؤسسة السياسية والمنظمات الدولية أمام مسؤولية مجتمعة لتأطير مستجداتها.

7. قائمة المراجع:

1- نقلا عن ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1993.

2- عرفان الدمشقي، الاستنساخ البشري جريمة العصر، المكتبة العصرية، بيروت،2002.

3- Rober Danien(sous direction),François Dagognet, Médecin philosophie- épistémologue, Institut Synthélabo.1998.

4- François Dagognet, questions interdites. F.d, empêcheur de penser en rond, 2002.

5- François Dagognet, le vivant, Edition Bordas, Paris,1988.

6- François Dagognet, le corps réfléchis, édition Odile Jacob, Paris, 1990.

7- برتراند رسل، حكمة الغرب، ، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ج 2، العدد 72، 1983.

8- سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 83، 1984.

9- ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية (إرادة العرفان) ، ترجمة محمد هشام، إفريقيا الشرق،2004.

10- ميشال فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2003.

11- يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1،2009.

12- ج. ب. غريس، طبيعة الميتافيزيقا، ، ترجمة كريم منى، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1،1981